من الأعماق...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

سرت وحدي في غربة العمر، في التيه المعمّى، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيري ولا أبصر قصداً يؤدي إليه طريق
مثل في صميم روحي ينساب، وفيض من الظلام الدفوق
وأنا في توحشي، تنفض الحيرة حولي أشباح رعب عميق

سرت وحدي في التيه، لا قلب يهتز صدى خفقه بقلبي الوحيد
سرت وحدي، لا وقع خطو سوى خطوي على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق، لا صاحب، لا دليل   غير يأسي ووحدتي وشرودي
وجمود الحياة يلقي على عمري ظلّ الفناء، ظلّ الهمود...

والتقينا... لم أدر أي قوى ساقتك حتى عبرت درب حياتي!
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى خطوك؟ كيف انبعثت في طرقاتي؟
لست أدري، لكن رأيتك روحاً   يوقظ الشوق في مسارب ذاتي
ويذرّي الرماد من روحي الخابي، ويذكي ناري، ويحيي مواتي...

حدقت مقلتاك فيّ، وآلاء يشعّ شبابها مقلتيه
لست أدري ما استجلتاه ولا ما رأتا خلف وحدتي الأبديه...
غير أني أبصرت روحك تهتز انعطافاً، في رقة علويه
وهنا خلتني شعرت بروح الله رفت من السماء عليه!

يا لعينيك! أي نفحة بعث   أوحيتها عيناك في أعماقي
فإذا بالحياة عارمة النبض بفيض الحنين... بالأشواق...
وإذا بالجمال يعكس ألوان رؤاه على مدى آفاقي
وإذا بي في ظل حب عظيم   معجز السحر، مبدع، خلاق

نظرة فتحت لقلبي أبواب السموات والجنان العليه!
رحلت لي أفقاً يموج به الوحي وتشتعل الرؤى القدسيه...
فيه سحر الألوان، فيه صدى الألحان، فيه منابع الشاعريه!
نظرة خلف عمقها رحت أستشرف عمق الخلود والأبديه!

ومضت بي الأيام، لا أنا صرّحت، ولا مقلتي الحييّة تبدو
كم وكم راح يعترينا مكان   وأنا صبوة توارت... ووجد...
كم حديث حدثتني، كم قصيد   هز روحي وأنت تروي وتشدو
وبقلبي السعيد شيء كنفخ الروح، يطغى تياره ويعدّ!

ومضت بي الأيام، والزمن العجلان يجري كالهارب المجنون
وسكوني ما انفك يرخي سدولاً فوق رعشات قلبي المفتون
وتألقت بغتة، ويعبق   نشوة السحر والهوى والفتون
وإذا قلبي المرنّح أشلاء على راحة الوداع الحزين!

وافترقنا، وملء نفسي — لو تدري — أحاسيس هائمات حيارى
وهواي المكبوت يجهش في صمت، وتهمي دموعه أشعارا
كم شجاني وداعك المرّ، كم سالت قلبي الممزق اصطبارا
كيف كان الفراق؟ كيف أزوي وجهك مني في لحظة وتوارى؟

وافترقنا، وبين كفيّ رسم   لم يزل كل زاد روحي الكليم
كم تلمست عمق عينيك فيه   وبعينيّ أدمع تتضرم
يا لقلبي، كم راح بين يديه   يهتك الحجب عن هواه المكتّم
أسمع، تسمع عبر الصحاري صداه   يتراءى إليك شعراً مرنم...

(المطوقة)

ظهرت حديثاً
الجزء الثالث من الجلد الأول من كتاب:

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

يطلب من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة
وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد